ثورة سمكو ودور العشائر الكردية الايرانية

بقلم : مارتين فان برو يذسين

نقله الى العربية : سعيد يحيي

تعتبر عشيرة «شكاك» التى ينتمي اليها «سمكو» والذي اصبح فيما بعد زعيما بلا منازع لها، ثانى اكبر عشيرة في ايران، اذ تأتي بعد عشيرة «كلهور» التي تعيش في غرب «كرمنشاه» ويعيش افراد عشيرة «شكاك» في المناطق الجبلية في «سوما» و «برادوست»، وفي غرب «سلماس» و «اروميه. وعلى الرغم من عدم وجود احصاء دقيق، فقد اصبح عدد عوائلها عام ١٩٢٠ الفي عائلة، تعيش على تربية المواشي مستفيدة من المراعي والاراضي الحكومية الواقعة في مناطق «تركور» و «دشت بيل». فكانوا يقضون الشتاء في سهولة سلماس وارومية وفي القرى الجبلية، . ومع ان العشيرة في بداية عام ١٩٢٠ تعتبر اقلية تمارس الترحال من منطقة الى اخرى، فانها كانت مسيطرة على المجتمع الكرمانجى، الذي كان يبلغ عدده ثلاثة اضعاف عدد افراد الشكاك. كما وان الاقارم التالية التي تعود الى احصائيات اواخر عام ١٩٦٠ تدل، ولو بصورة نسبية، على قوة العشائر خلال فترة زعامة «سمكو»[١] :

شكاك ٤٤٠٠ عائلة ، ميلان ٢٠٣٠ عائلة ، منكور ١٥٠٠ عائلة ، هركي ١٣٥٠ عائلة ، جلالى ١١٣٥ عائلة ،مامش ٩٥٠ عائلة ، زرزا ٧٥٠ عائلة ، بيران ٦٥٠ عائلة ، بكزاده ٥٠٠ عائلة ، حيدرانلى ٣٠٠ عائلة .

ويجدر بالذكر ، ان فروع واقسام العشائر اعلاه ، والتي يعيش افرادها خارج الحدود الايرانية ، لم يرد ذكر اعدادها ، لاسيما افراد عشيرتي هركى وحيدرانلى . اذ تعتبر هاتان العشيرتان اكبر بكثير من الارقام المذكورة .

كانت الحالة السائدة بين الشكاك والمسيحيين الذين يجاورونهم شبيهة بحالة الانكلو- ساكسون وكان اكثر هولاء المسيحيين اغنياء ، يملكون قطعان الماشية (يملك الواحد منهم قطيعا مكونا من حوالي ١٠٠٠ رأس غنم و ٤٠ رأس حصان) اضافة الى امتهان الزراعة والحرف الاخرى . وفي الصيف يرعون اغنامهم مع قطعان الشكاك ، فترحل العائلة مع بعض افرادها الى المناطق الجبلية ، بينما ينشغل الرجال بالزراعة في قراهم[٢] .

اما الشكاك ، فقد كانوا يحصلون على مواردهم عن طريق الاغارة . . فهم معروفون اكثر من غيرهم باعمال السلب وقطع الطريق (يعرفون الان بالتهريب) . ويزعم بعض الباحثين ، ان العمل الاساسي والرئيسي للشكاكي ،هو قطع الطريق وليس تربية الاغنام ! ! ويبدو أن غاراتهم وهجماتهم لم تكن تستهدف القوافل التجارية ، بقدر ما كانت ، تركز على التجمعات السكانية في السهول والقرى ، كتجمعات المسيحيين والشيعة والآذريين .

يذكر (باسيل نيكيتين) بأن الفقراء والمعدمين الشكاك من سكان السهول ، كانوا ينظرون الى جعفر (شقيق سمكو الاكبر) نظرة تختلف عن نظرتهم الى بقية رؤساء العشيرة الاخرين (كان جعفر يوزع الغنائم والاموال المستولى عليها من الاغنياء، على الفقراء والمعوزين[٣])

وتشكل عشيرة شكاك ، مع بقية العشائر الاخرى التي يبلغ عددها خمسا وعشرين عشيرة (مر ذكر تسع منها في مكان سابق[٤]) ، وحدة عشائرية متماسكة . وبصورة عامة فان عشيرة شكاك ، تشكلت من العشائر الثلاثة (عبدوبى ، مامدى او مامدوبى ، كردار) . أما العشائر الاخرى ، فانها ذات مواقف هامشية ، تضع نفسها في حمايتها ابان قيادتها من زعيم مقتدر . كما أن بعض هذه العشائر تتسم بالاستقلالية والانفراد في الحكم وفض النزاعات .

يقول «كيلان» عن عشيرة «هناره» القوية مايلي :

«ان هذه العشيرة تابعة لعشيرة شكاك ، وعلى رئيسها ان يكون موضع ثقة وتأييد زعيم الشكاك . وبسبب عدم ميل افرادها الى القتال واراقة الدماء . فانهم يعملون في التجارة وفي تربية المواشي . . غير ان الشكاك يحركونهم

ويرغمونهم على خوض المعارك . . وفي كثير من الاحيان يحركون عليهم عداءهم ومنافسيهم[٥] » .

وعندما زار «بلو» المنطقة عام ١٨٥٧ عرف «هناره» على انها عشيرة مستقلة تعيش الى جوار الشكاك . وفي جميع القيود المعمول بها اخيرا ، يأتي ذكرها ، كونها عشيرة مستقلة . وعلى الارجح فان موقعها لم يكن ادنى من موقع الشكاك . وكذلك بالنسبة الى افراد عشيرة (مامدى) الذين كانوا في بداية القرن الاخير ، جزء من عشيرة شكاك ، اذ كانوا مستقلين عام ١٨٥٧[٦] . ومعنى ذلك ان الشكاك اصبح لهم شأن في جمع شمل العشيرة ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي كان الكثير من المجتمعات العشائرية في حالة زوال وانحطاط .

ان دراسة تأريخ المنطقة ، تؤكد بوضوح ، بأن من اهم العوامل التي ساعدت على ظهور رؤساء اقوياء ، هو تعاون الاكراد في الحروب الحدودية . فقد كانت منطقة (سوما) تدار من قبل العثمانيين عن طريق احد الحكام الكرد . فكانت الحكومة الايرانية تحرك الشكاك بمختلف الوسائل والسبل للسيطرة على تلك المناطق «كان الشكاك انذاك يعيشون في اقصى جنوب تلك المناطق» . فامتدت سيطرة الشكاك على المنطقة من عام ١٨٤١ وحتى عام ١٨٩٣[٧] . وفي مقابل الخدمات التي اداها افرادها في الحد من الاغارة وقطع الطرق واثارة المشاكل داخل الحدود الايرانية ، قررت الحكومة تعيين روساء العشيرة حكام للمناطق الحدودية .

هناك اسرتان تدعيان الزعامه على الشكاك ، وتنتميان الى عشيرتي (عبدولي) و (كردار) . اذ يدعي افراد الاسرة الاولى (عبدولي) ان نسبهم يرجع الى الأمراء الكرد الذين اشتركوا في الحروب التي خاضها صلاح الدين[٨] . كما ان التنافس والصراع على زعامة التجمع الشكاكي قائمان بين الاسرتين . وفي اغلب الاحايين ، انفردت احدى الاسرتين بحكم وادارة شؤونها .

ومن اجل تكامل الصورة ، والاحاطة التامة ، نرى من الضرورة بمكان سرد بعض الذكريات ، عن التحولات السياسية في المنطقة ابان عهد سمكو . ففي عام ١٩٠٦ شن الجنود العثمانيون هجوما على اذربايجان الايرانية ، واستولوا على قسم مهم من المناطق التي يسكنها الاكراد في ذلك الأقليم . ومكث الاتراك فيها حتى عام ١٩١١ رغم عدم سيطرتهم الكاملة عليها ، حيث اخرجوا منها في العام نفسه عن طريق الروس . وكان الروس قد هجموا على الاقليم عام ١٩٠٩ فاستولوا على مدينة (تبريز) التي كانت تشكل مع مدينة (رشت) اخر معقل للمشروطيين . فوزع الروس جنود المشاة والقوات الاخرى على مدن «تبريز ، خوى ، ديلمان ، اروميه . .» وحتى بداية الحرب العالمية ، فان الروس كانوا قد استطاعوا استتباب الأمن والاستقرار في تلك المناطق الى حد كبير . وانتقلت اذربايجان ، اثناء الحرب ، من يد الى اخرى : استولى عليها الاتراك سنة ١٩١٥ . ثم فتحها الروس عام ١٩١٦ – ١٩١٧ . عاد الترك فاستولوا عليها مرة اخرى عام ١٩١٨ . وكان النساطرة الحكاريون ، قد تركوا في عام ١٩١٤ مدينتي «اروميه» و «سلماس» ولجأوا الى الروس ، خوفا من مجزرة على يد الاتراك ، فعمل الكثير منهم ادلاء للجيش الروسي . وعندما شن ذلك الجيش الهجمات على كردستان ، حاول هؤلاء الادلاء الانتقام من المواطنين المسلمين ، واثناء الحرب ، كانت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، قد وصلت الى حد سيئ للغاية[٩] .

في عام ١٩١٨ وبعد ان وضعت الحرب العالمية اوزارها ، استولت بريطانيا على العراق ، باستثناء المناطق الجبلية الواقعة في الشمال الشرقي . فنشط الكماليون «القوميون الاتراك ، انصار مصطفى كمال» بسرعة في طول البلاد وعرضها . فعملوا على تنظيم الاكراد في كل من (رواندوز) و (وان) للتطوع والجهاد ضد الانكليز . وبالمقابل عمل الانكليز بنفس الاتجاه ، مع وعود كثيرة بتأسيس كردستان مستقلة تحول بين العراق وتركيا .

في تلك الاثناء ، كانت الحكومة الايرانية ، حكومة ضعيفة تعاني من المشاكل الدخلية وتواجه الحركات الانفصالية في گيلان واذربايجان . كما وان المعاهدة الايرانية – البريطانية التي ابرمت عام ١٩١٩ واجهت سخطا جماهيريا واسعا . وفي عام ١٩٢٠ ثار ابناء العائلات الميسورة في مدينة (تبريز) وقادوا من هناك مدن اذربايجان الاخرى ، واسسوا لاشهر معدودة ، جمهورية مستقلة (ازادستان)[١٠] . فكان ان وصل (رضا خان) الى الحكم بعد انقلاب عام ١٩٢١ ، فاستطاع تصفية الجيوب المتمردة والحركات الانفصالية وان يوحد ايران . وفي بداية عام ١٩٢٣ وصلت تركيا الكمالية الى المحافل الدولية واثرت عليها ، فغدا الأمل بايجاد كردستان مستقلة ، أملا ضئيلا ، أو على الاقل احتمالا بعيد التحقيق .

وفي بداية القرن الحالي ، برز ثلاثة اشخاص ينافسون بعضهم على زعامة الشكاك . اقواهم كان (علي اغا) المنحدر من اصل (عبدولي) واولاده أو احفاده (تتعارض الاراء حول ذلك) منهم جعفر واسماعيل الملقب بـ (سمكو) واللذين اشتهرا بشجاعتهما الفائقة وبسالتهما في المعارك التي خاضاها . والرئيس الثاني هو (عمر اغا) الذي كان يتزعم عشيرة (مامدى) ، «ذكر في بعض المصادر انه كان عم سمكو» والشخص الثالث هو مصطفى اغا «خلفه فيما بعد اخوه اسماعيل » المنحدر من أصل (كردار) والذي كان يحكم فروع العشيرة . في تلك السنوات ، ظهر عدد من الرؤساء وعدد من أغوات (عبدولي) الذين كانوا يعيشون في الجنوب الاقصى ، يتزعمهم يوسف ، شقيق علي اغا . الا ان العشائر التي كانت تحت حكم يوسف ، قد استمالت نحو علي ، بعد ان قوت زعامته . فقتل البعض منهم على ايدي اعدائهم ومنافسيهم من «كردار» . فقد قتل عمر اغا (مامدى) على ايدي عملاء الحكومة سنة ١٩٠٢ ، بينما قتل مصطفى على ايدي اعوان (عبدولي) عام ١٩٠٦ . في تلك الاثناء كان «جعفر» والذي يحمل عدة القاب رسمية ، يخلق المشاكل والاضطرابات لحكومة اذربايجان ، ويهاجم اروميه وسلماس وخوى . فدعى الى (تبريز) في زيارة عمل من قبل ولي عهد

ايران ، وقتل بمكر وخديعة[١١] .

واغلب الظن ، ان تصفية عدد من الزعماء المتمرسين ، احدثت فراغا ومهدت لبروز سمكو . . ومع ذلك ، فقد كان سمكو سياسيا واعيا ينتهز الفرص لتحقيق ماربه . وكان في شبابه ، قد شارك في الحملات التي كان يقودها شقيقه جعفر . ثم واصل شن الهجمات لحسابه الخاص ، الأمر الذي ادى الى تجمع عدد من الاتباع الاقوياء حوله . واثناء الثورة المشروطية ، عارض سمكو المشروطيين (الاذريون من اهل المدن) . ومن غير أن يطلب منه ، ارسل ٣٠٠ فارس ، لمساعدة قوات (اقبال السلطنة) حاكم (ماكو) لمقاتلة مجلس (خوى) . ومقابل هذا التعاون ، عين سمكو حاكما مطلقا لمنطقة (قطور) . وعلى الرغم من استمراره على الاغارة وقطع الطرق ، فان الحكومة المركزية ابقته حاكما[١٢] .

قبل الحرب الكبرى ، احتل الاتراك والروس اراضي الشكاك . . فكان سمكو على اتصال مع القوتين بصورة غير مباشرة . ويعتقد انه قبل عام ١٩١٣ وبالتعاون مع الاذربايجانيين كان قد ناصر العثمانيين ضد الروس . الا انه في العام ذاته ، سلم الروس احد الاذربايجانيين الذين التجأوا اليه ، وذلك من باب اظهار حسن النية تجاههم[١٣] . وعلى الارجح انه قد نجح في تحقيق هذا الهدف . اذ ان احد المندوبين الروس كان قد ذكر بان اثنين من رؤساء العشائر ، كانا متحدين مع اسماعيل اغا كردار (منافس سمكو على الزعامة) قد اعلنا ولاءهما لسمكو بضغط من الروس[١٤] .

وطد سمكو علاقاته بالمحافل القومية الكردية . فقد تزوج من شقيقة السيد طه خلف الشيخ عبيد الله[١٥] ، فكان الزواج زواج مصلحة . اذ لم يكن السيد طه قوميا معروفا فحسب ، بل كان احد المتنفذين الاقوياء في الجانب الاخر من الحدود . فتعاونا معا خلال السنوات العشر المقبلة . كما تعاون معه شخص اخر هو عبد الرزاق بدرخان ، من الاسرة الكردية المعروفة التي ينتهي نسبها الى امراء بوتان . كما ان السيد طه وعبد الرزاق وجعفر شقيق سمكو ، قد دعوا لزيارة روسيا «حيث اغدقت عليهم الهدايا الكثيرة اضافة الى اسماعهم كلمات التشجيع والوعود المغرية لتحقيق امال المستقبل فاصدر عبد الرزاق عام ١٩١٢ صحيفة شهرية كردية في ارومية

وبعد فترة منعه الروس من الاقامة في أرومية.

وحسب قول احد المؤرخين فان سمكو تحمل مسؤولية اصدار تلك الصحيفة حتى عام ١٩١٤[١٧]

امتنع سمكو عن المشاركة في الحرب العالمية . وعمل على بسط نفوذه وسلطته في المناطق الحدودية . فكان يسعى الى فتح جميع الأبواب . . والقى الروس القبض عليه ، وارسلوه الى سجن (تفليس) . الا انهم فضلوا سياسة الترغيب على الشدة ، فسمحوا له بالعودة الى اذربايجان ، شريطة الاقامة في مدينة (خوى) وان يعلن ولاءه لهم[١٨] بعد الثورة البلشفية ، وابان انسحاب جنود الجنرال الروسي (باراتوف) وجلائهم عن كردستان ، استولى سمكو على اسلحتهم ، بضمنها الاسلحة الثقيلة . كما وكانت الاسلحة ترسل الى سمكو من الاجزاء الاخرى من كردستان ، اذ كان قد اشتهر انذاك كزعيم قومي . وكانت هذه الاسلحة تعود الى بقايا الجيش الروسي ، والى المقاتلين الاكراد الذين حاربوا الى جانب الاتراك . ومع هذا ، فلم يكن سمكو وحده الذي يسعى الى الحصول على السلاح . .فقد كان الاثوريون (المواطنون المحليون لاسيما اولئك الذين التجأوا من حكارى والمتمرسون في القتال) يتلقون الدعم والسلاح من الأرمن في الأناضول .

ولم يكن الروس ، قادرين على المحافظة على اسلحتهم اثناء عملية الانسحاب ، لذلك فقد تركوا وراءهم كميات هائلة . كما كانوا يشجعون الاثوريين على تنظيم انفسهم في جماعات مدربة . وحسب رواية عسكري فرنسي رفيع المقام ، فان فرنسا هي الاخرى ارسلت الاسلحة الى المسيحيين لمجابهة الاتراك والدفاع عن انفسهم[١٩] ، اذ كانت امال شبيهة بامال سمكو تداعب مخيلاتهم : تشكيل دولة مستقلة في اورميه وسلماس . والتي كانت تواجه معارضة شديدة من السكان المسلمين المحليين (الاذريون في السهول والاكراد في الجبال) . كما وكان لاعمال السلب والنهب التي رافقت انسحاب الجيش الروسي ، اثرها في توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، لاسيما ابناء العشائر الذين ذاقوا الأمرين اكثر من غيرهم .

وخلال اضطرابات اورميه (١٩١٨) استولى المسيحيون على المدينة وسيطروا عليها سيطرة كاملة ، مستغلين ضعف الحكومة وعدم قدرتها على اعادة الأمن اليها . فاتصل حاكم تبريز (فخرى شمس) بسمكو ، وبتحريض منه ، دعا سمكو ، الزعيم الروحي والسياسي للاثوريين (مارشمعون) للتباحث معه حول الائتلاف المقترح وتنسيق العمل وقتل بدسيسة منه في اذار عام ١٩١٨[٢٠] .

كانت بريطانيا تسعى الى تقوية الأرمن والاثوريين ، بشكل يجعلهم قادرين على مجابهة القوات التركية . فلم يشترك سمكو في المعارك التي دارت فيما بعد بين المهاجمين الترك والأرمن والاثوريين، وبفقدان زعيمهم القوي ، فر الاثوريون من اورميه فتعقبهم رجال سمكو والجنود الأتراك وقتلوا الكثيرين منهم (حزيران وتموز ١٩١٨) . ودخل هؤلاء الجنود مع مجموعات من الاكراد «ادعى البعض منهم انهم ارسلوا من قبل سمكو وسيد طه» المدينة

ونهبوا ممتلكات الاثوريين الذين لم يفروا[٢١] .

كانت نتيجة الحرب ، خروج الأتراك من اذربايجان . وعلى الرغم من عدم وجود حكومة قوية فيها ، فان الحكومة الايرانية عينت ولاة جدد لتبريز وارومیه ، الا انهم فشلوا في تعزيز الأمن والاستقرار فيهما . وكانت القوة الوحيدة المسيطرة على الاوضاع ، هي قوة (سمكو) بقلاعها الحصينة التي قويت بواسطة العثمانيين . فكان معظم افرادها من الاكراد الذين التحقوا به بدافع النضال القومي ، أو الهاربين من اداء الخدمة العسكرية . . اما الباقون فكانوا افاقين يبحثون عن المال والمغامرة(!) . حيث كان سمكو يزوجهم ويكون لهم الاسر . وفيما بعد ، فان هذه القوات باسلحتها الثقيلة (غنم بعضها من الروس) والرشاشات الاتوماتيكية ، اثبتت تفوقها على جنود الحكومة غير المدربين في اذربايجان .

واصل سمكو الاغارة على مناطق السهول . ولم تستطع الحكومة الايرانية لفترة من الوقت ، اخضاعه الى حكم القانون . وقد حاول حاكم ارومیه (سردارفاتح) كسب ود سمكو ، فالتقاه بمعقله الحصين بجهريق (جنوب غربي ديلمان) . أما سمكو فقد اعتبر هذا اللقاء دليلا على ضعف الحكومة ، فزاد من المبالغ التي كانت تجبى من سكان المنطقة للصرف على رواتب وتجهيزات جيشه ، والتي اعتبرتها الحكومة ضربا من اعمال السلب . بعد ذلك ارسل مكرم الملك حاكم تبريز ، علبة حلويات تخفي داخلها قنبلة وضعت بطريقة فنية حديثة ، فادى انفجارها الى مقتل أحد اشقاء سمكو وعدد كبير من اتباعه ، فيما اصيب هو بجروح[٢٢] .

ثورة سمكو ضد الحكومة المركزية :

كان سمكو منشغلا بتهيئة المناخ الملائم للاستقلال عن ايران . وفي عام ١٩١٩ رتب لعقد اجتماع لرؤساء عشائر كردستان ايران المهمين ، طرح فيه مسألة اعلان ثورته على الحكومة الايرانية . فرأى المجتمعون ارجاء تنفيذها لحين اتضاح موقف القوى العظمى[٢٣] . فزار سيد طه بغداد ، لنيل تأييد بريطانيا لتأسيس حكومة كردية مستقلة . كما بعث سمكو برسالة الى أ . ت . ويلسون مسؤول الشؤون المدنية البريطانية ، ضمنها مطاليب مماثلة . لكن لا احد منهما تسلم جوابا قاطعا . وحسب المصادر الارمنية[٢٤] ، فقد كان سمكو وسيد طه على اتصال بالقوميين الترك ، اذ كان الاتراك يحاولون اعادة الأرمن الى اناضول الشرقية مقابل الوعود بمساعدة سمكو . وفي السنوات التي تلت ، احتفظ الزعيمان الكرديان بعلاقاتهما مع بريطانيا ومع القوميين الاتراك . وبدون انتظار موافقة بقية رؤساء العشائر ، اعلن سمكو الثورة . فاحتل مدينة (ديلمان) واغار على (خوى) وحاصر مدينة (ارومیه) وقتل الكثير من الاذريين الذين امتنعوا عن دفع الجباية لجيشه . أما الذين نجوا من القتل ، فان رجاله قد تبعوهم حتى (شرفخانه) الواقعة في الساحل الشمالي لبحيرة ارومیه . وفي خريف عام ١٩١٩ كان رجال سمكو يسيطرون على المناطق الشمالية المحاذية للبحيرة[٢٥] . في هذه الاثناء وصل تبريز قائد عسكري جديد باسم (انتصار) فجند قواته ، وسلح افرادها من الدرك والقوزاق وغير النظاميين ، تحت قيادة الضابط القوزاقي الروسي (فيليبوف) والذي كان قد ارسل من طهران حديثا ، فاستطاع حمل قوات سمكو الى الانسحاب ، والحقوا بها خسائر فادحة . فاضطر سمكو على الاعتصام بمعقله الجبلي الحصين في (جهريق) . وتركه عدد من رجال العصابات (بينهم عدد من الجنود السابقين في الدولة العثمانية) . وعلى الرغم من هذه الانتصارات ، ولاسباب مجهولة بادر فيليبوف وانتصار ، الى الاتصال بسمكو والطلب منه ، تسليم نفسه اليهما دون قيد أو شرط . فجرت عدة لقاءات ، وافق سمكو بعدها ، على اعادة الأموال المنهوبة من الاذريين (لكستان) ، وتسريح الجنود الاتراك ، وتسليم اسلحتهم الى الدولة .

الا ان أيا من هذه الاتفاقات لم تنفذ . وعلى العكس ادت الى تقوية نفوذ سمكو بين الاكراد ، اذ كان يستطيع العمل ضد الدولة دون مقاضاة . وفي عام ١٩٢٠ بسط نفوذه مجدداً على سهول ارومية وسلماس والاجزاء الجنوبية من منطقة (خوى) . وعين عدداً من اتباعه قواداً وحكام على (ارومية) . اولاً : ارشد الملك ، ثم : تيمور اغا ، رئيس احدى العشائر الكردية من «كهنه شهر» . وكان اتباعه قد انتشروا في مناطق واسعة ، يسعون الى خزن المؤن وجمع الاسلحة . وفي احد الأيام جمعوا الاف الأشخاص من سكان مدينة ارومیه في احد البساتين . وطلبوا مقابل اطلاق سراحهم ، (٤٠) الف بندقية ، وما يعادلها من الليرات الذهبية[٢٦] . وقد اضطرت قوات الشرطة التي ارسلت من تبريز لتحرير الرهائن ، الى الانسحاب الى خلف شرفخانه بعد ان الحقت بها خسائر فادحة (اذار ١٩٢١) . وبذلك اثبت سمكو مرة اخرى انه من اقوى افراد المنطقة على الاطلاق . الأمر الذي زاد من اتباعه وانصاره . كما كان لانتصاره على الجنود الحكوميين في تلك السنة وقع كبير بين هؤلاء الانصار . وفي أذار من عام ١٩٢١ كانت قواته تقدر بـ(١٠٠٠) فارس و٥٠٠ رجل مشاة تحت

العلم التركي . وفي معارك صيف العام نفسه قدرت بـ(٤٠٠٠) مقاتل . وفي الخريف قدرت بـ(٧٠٠٠) مقاتل . ويقال بان (١٠٠٠٠) مقاتل شاركوا في اخر معركة كبيرة وقعت في صيف ١٩٢٢ [٢٧] . (ان هذه الارقام التقريبية تشير الى حجم القوات التي استطاع سمكو تجنيدها ، وتدل كذلك على اعتراف العشائر بزعامته) .

في أوائل عام ١٩٢٠ عقدت عدة اجتماعات لمجلس الرؤساء الكرد بزعامة سمكو . وقد حضرها ليس فقط بعض رؤساء العشائر الكبيرة (هركى ، بك زاده ، حيدرانلى ، شكاك) فحسب ، وانما حضرها رؤساء ارتوشى وعشائر اخرى من حكارى . كما وعين (احمد خان) رئيساً لعشيرة هركي في عام ١٩٢٢ . وقد نال هذا التعيين تأييد وموافقة تلك العشيرة القوية [٢٨] .

في أواسط عام ١٩٢١ كانت المناطق الواقعة غربي بحيرة (ارومية) مناطق نفوذ سمكو ، وتمتد حتى الجهة الجنوبية والى (بانه)و (سردشت) . كذلك المناطق الشمالية الغربية من العراق ، والتي كانت موضع صراع الانكليز والكماليين . والتحقت باتحاد الشكاك عشائر : هركى ، مامش ، منگور ، ديبوكرى ، پيران ، زرزا ، كَورك ، فيض الله بگى ، بشدر ، وكذلك الطوائف الصغيرة في اطراف بانه [٢٩] .

في تشرين الأول من عام ١٩٢١ دخلت قوات سمكو مدينة ساوجبلاغ (مهاباد) والتي كانت الى ذلك التاريخ بيد الحكومة . فقتل (٢٠٠) فرد من افراد الشرطة والدرك على ايدي رجال سمكو ، كما اصيب (١٥٠) اخرون بجروح . وعقب احتلال المدينة ، قام هؤلاء باعمال السلب والنهب ، رغم ان سكان المدينة بعكس اهالي ارومية وديلمان ، كانوا اكراداً . الأمر الذي أثار حفيظة القوميين الاكراد وجرح مشاعرهم فانتقدوا سمكو بشدة . وفي مقابل اتهام من احد وجهاء السليمانية ، اجاب سمكو ، بان افراد الشرطة اجبروه على جر المعارك الى داخل المدينة ، ومن ثم فقد السيطرة على رجاله الذين اعتادوا على القيام بالسلب والنهب بعد كل معركة ثم انه مشكوك من ولاء عشيرتي (ديبوكرى) و (منگور) اللتين يقطن افرادهما اطراف ساوجبلاغ [٣٠] . وبالطبع فان مدينة ساوجبلاغ ، اصبحت عاصمة لسمكو ، غير انه لم يقم فيها ، بل ترك ادارتها لاحد رؤساء العشائر المقربين اليه (حمزه اغا مامش) . فاعلنت المدن الاذرية (ميانداواب ، مراغه ، بناب) ولاءها وتابعيتها لساوجبلاغ [٣١] . هذه الانتصارات الساحقة التي احرزها سمكو ، اصبحت سبباً في زيادة قواته وانصاره . ففي حزيران ١٩٢٢ كانت المنطقة الواقعة تحت سلطته ونفوذه ، تعتبر من اوسع المناطق ، حيث تمتد من شرق وجنوب ساين قلا (شاهين دژ) الى سقز .. كما وكان سمكو على اتصال دائم ومستمر بالعشائر التي تسكن الجنوب : كان له نفوذ في مريوان وهورامان ، وحتى بين العشائر التي تسكن اقصى الجنوب ، اي منطقة (لرستان)حيث ثار اهلها بدعم منه [٣٢] .

وعقد مع عدد من رؤساء العشائر الكردية في تركيا والعراق ، علاقات صداقة ، لكنها خلت من تخطيط للعمل المشترك بينهم .. ومع هذه العلاقات ، ترددت شائعات مفادها ، ان الحكومة الايرانية ، بصدد منح الاكراد الحكم الذاتي ، وذلك بعد ان اخفقت في حملهم عل الولاء لها [٣٣] .

ولم يكن لهذه الشائعات اي اساس . اذ ان رضا خان ، وبعد انقلاب عام ١٩٢١ عمل بكل جهده في سبيل تشكيل جيش وطني عصري يتسم بالضبط والتنظيم . وبالفعل فان جهوده تلك قد اثمرت ففي عام ١٩٢٢ وقعت معركة بين الجيش الذي اعيد تنظيمه ، وبين رجال سمكو ، فهزموا وتفرقوا من حوله باستثناء عدد محدود من مقربيه وانصاره [٣٤] . فاضطر الى الهرب الى تركيا ومن هناك الى العراق . يقول (ادموندز) الذي رافق سمكو في لجوئه الى العراق ، انه كان مستاء من الاتراك والأنكليز : اذ ان الاتراك الذين وعدوه بالمساعدة ، يراهم اليوم يوجهون اليه فوهات بنادقهم . اما الانكليز : فعلى الرغم من اهميته لهم ، باتوا ينظرون اليه كشخص عادي ، وسمحوا بهزيمة قواته [٣٥] .

وخلال فترة لجوئه الى العراق ، جلس بلا عمل .. الا انه واصل اتصالاته برؤساء العشائر لخلق مناخ ملائم تمهيدا لعودته الى ايران . كذلك التقى عددا من المتحدين معه ، بضمنهم سيد طه (كان يعمل مع الانكليز لطرد الاتراك من رواندوز ، ولا يميل الى الارتباط باحداث ايران كسابق عهده) والشيخ محمود في السليمانية (اقوى القادة القوميين الاكراد في كردستان الجنوبية ، والذي ابدى اهتماما اقل بمشكلة سمكو) واشخاص اخرين . وحاول الاتصال كذلك بالاثوريين الذين نزحوا الى العراق بواسطة بريطانيا ، والذين كانوا يفكرون بالعودة الى اروميه وسلماس . وايما حل ، كان يحظى بالاحترام والتقدير ، لكن لا احد كان مستعدا لتقديم العون له .

وفي عام ١٩٢٣ سافر الى تركيا بهدف الحصول على دعمها ، لكنه فشل في مسعاه . وفي العام الذي تلاه ، اصدر رضاخان العفو عنه ، فعاد الى ايران . وفي عام ١٩٢٦ قام باخر محاولة فاشلة ، لتحقيق الامال التي كان يسعى الى تحقيقها في نيل الاستقلال ، فحاصر مدينة ديلمان بمساعدة بعض افراد عشائر هركى وغيرهم .. وبعد معارك داميه اضطر الى الالتجاء بالعراق ثانية . وفي عام ١٩٢٩ دعته الحكومة الايرانية الى العودة ، واقترحت عليه حكم مقاطعة (اشنويه) . وبعد ايام من عودته قتل في كمين نصبته له الحكومة نفسها [٣٦] .

الهوامش والمصادر

مقال مطول كتبه M. Van Bruinessen ظهر عام ١٩٨٣ ضمن سلسلة مقالات تحت عنوان The Conflict of Tribe and State in Iran and Afghanistan. وقد ترجمها الى الفارسية السيد حسن قاضي . نقلته الى العربيه بتصرف ، مركزاً على المعلومات التي تخص ثورة سمكو ودور العشائر فيها فقط ، على أمل ان افيد القارئ الجليل ، للتعرف على فترة مهمة من فترات الصراع بين الحركة الكردية الايرانية وحكام ايران المتعاقبين على دست الحكم .وعلى الرغم من تحفظنا على بعض التحليلات التي اوردها المؤلف في سياق سرده للحوادث التأريخية ، الا اننا نرى ان فائدة المقال تكمن

في توثيق تلك الفترة من التأريخ عسى أن يأتي عليها المهتمون والباحثون بمزيد من الشرح والاسهاب .

١ – H. Arfa, The kurds: An Historical and Political Study, (Oxford University Press, 1966). p.48.

٢ – محمد جواد مشكور : نظرة الى تأريخ أذربايجان واثارها التاريخية ومجتمعها . طهران / ١٩٧١ ص ١٩٠ (باللغة الفارسية).

Ghilan (Les kurdes persans et l'invasion ottomane,' Revue du Monde-Musulman, 5 (1908) pp. 7, 10, 14

٣ – . Nikitine, les kurdes... p.79.

٤ – انظر الصفحات الاخرى من مقال Ghilan وكذلك (مشكور) ص ١٩٠ . ومذكرات البروفيسور Wolifgang Rudolph التي وضعها تحت تصرفي مشكورا . دهقان ص ٦٠ . كما ورد بهذا الشكل في Minorsky, shakak El, 1st ed. 4, 1, p 290, Central Asian Revie, 7(1959) p. 179 (after sovermennity Iran.

٥ – Ghilan, les Kurdes ... p.14.

٦ – O. Blau, Die Stamme des nordostlichen kurdistan, zeitschrift der Deutschen-Morgenlandischen Gesellschaft, 12 (1858R, p. 598.

٧ – V.. Minorsky, Somai, El, 1st ed, 4,2, p 482

Ghilan, les kurdes... pp. 10—13.

٨ – احمد شريفي ، عشائر شكاك ، حياتهم الاجتماعية تحت قيادة اسماعيل اغا سمكو ، سيديان ، مهاباد ١٣٤٨ / ١٩٧٠ ص ١٠ – ١١ . (باللغة الفارسية)

٩ – A.C.Wartislaw, A concul in the East (Blaokwoods, Edinburgh and London, 1924) pp. 213— 14, 229—32.

W. E. D. Allen and P.Muratoff, Caucasian Battlefields: A History of the Wars on the Turco— Caucasian Border 1818— 1921 (cambridge University Press, 1953):

– احمد كسروي ، تأريخ ثمانية عشر عاما لاذربايجان ، طهران ، اميركبير ، الطبعة الرابعة ١٣٤٦ ١٩٤٨ ص ١٠ – (باللغة الفارسية) وكذلك :.. Joseph hestorians

١٠ – نفس المصدر (كسروى) وكذلك : Joseph Nestorians

Y.P. Benab, Tabriz in Perspective: a historical analysis of the current struggle of Iranian Peoples. RIPEH, Review of Iranian Political Economy & History, 2, 2(1978) pp. 1—42.

١١ – Ghilan, les kurdes, pp. 7— 9n

للمزيد من المعلومات حول مقتل جعفر ، راجع :

Wartislaw, Consul, pp. 207— 9, Nikitine, les kurdes, p. 79. Sharifi Ashayer p. 12.

١٢ – Ghilan, les lurdes, pp. 7— 9n

وكذلك : م : اغاسي، تأريخ خوى (كلية الفنون ، تبريز ١٣٥٩ / ١٩٧١) الصفحات ١٣ – ٣١٢ (باللغة الفارسية) . لعل احد اسباب معارضة سمكو للمشروطيين . يعود الى انتشار ظاهرة معاداة الاكراد وحدوث انتفاضات ضد السنة ، بعد مشاركة عدد كبير من الاكراد عام ١٩٠٦ في الحملة التركية على ايران .

R. cottam, Nationalism in Iran (University of Pittsburg Press, 1964) pp. 68- 9

١٣ – كسروي ، تأريخ ثمانية عشر عاما . . . الصفحات ٥ – ٤٥٤

١٤ – هما «تيمورجنك» و «محمد شريف» من اغوات قرى «سوما» . .

انظر :

L. W. Adamec (Comp) Historical Gazetteer of Iran Part 1. Tehran and Northwestern Iran (Akademische Druck und Verlaganstalt, Graz 1976) entry (Somay) quoting Voyenni Sobrnik.

١٥ – شريفي ، عشائر . . . ص ١٧ .

١٦ – W. Eagleton Jr. The Kurdish Republic of 1946, (Oxford University Press, 1963) p.7.

١٧ – بايعاز من سمكو ، صدرت في اروميه عام ١٩٢١ صحيفة بلغتين ذات مضمون قومي باسم (الكرد في عام ١٣٤٠) وكان رئيس تحريرها شخص من اهالي مهاباد هو ملا محمد ترجاني . انظر : م . تمدن : (تأريخ رضائيه) ، تهران ، اسلاميه ١٣٥٠ / ١٩٧١ (باللغة الفارسية) وكذلك : Oriente Moderno, 1,9 (15 February 1922) p.548

١٨ – راجع : كسروى ، تأريخ ثمانية عشر عاما . ص ٨٢٩ و اغاسى ، تأريخ خوى ، ص ٣ – ٣٥٢ ، وشريفي عشائر . . . ص ١٨ – ١٩ .

١٩ – H. Aeaf, Under Five Shahs, (Murray, London, 1964), o.122.

٢٠ – انظر: كسروى، تاريخ... ص ٥٠ – ٧٣٤ و ٨٢٩، اغاسى، تاريخ... الصفحات ٨ – ٣٨٤، كذلك:

H. Arfa. Kurds, pp. 50—54, Joseph, Nestorias, pp.138- 44 F. G. Coan(Yesterdays in Persia and Kurdistan (Saunders, Claremont, Col, 1939) pp.220—2.

٢١ – نفس المصدر ، الصفحات ٢ – ٢٧٠

٢٢ – كسروي ، تأريخ ثمانية عشر عاما . . الصفحات ٣٢ – ٨٣٠ ، وشريفي ، عشائر . . الصفحتان ١٩ – ٢٠ و . م . بامداد سيرة رجالات ايران (طهران ، زوار ، ١٣٤٧ / ١٩٦٨) الجزء الأول ص ١٣٦ (باللغة الفارسية) . .

٢٣ – انظر كذلك : Jwaideh, Nationalist Movement... pp. 401—2

Precis of Affairs in Southern Kurdistan During the Great War (Government press, Baghdad 1919) p. 14

Jwaideh, Nationalist Movement... p. 403.

٢٤ – راجع الوثيقة : Fo 371 / 1919, No. 58 / 89585 / 5 / 2 اوفيا بعد كذبت وزارة الخارجية البريطانية هذه الانباء عن طريق سمكو نفسه بموجب الوثيقة : Fo 371 / 1919: W34 / 88614 / 7972 . وحول الشائعات الخاصة بعودة الالوريين وتأثيراتها ، انظر : Jwaideh, (Nationalist Movement... pp. 413 / 15.

٢٥ – كسروى ، تأريخ ثمانية عشر عاما ص ٤١ – ٨٣٩ وكذلك Arfa, kurds... p.57.

٢٦ – علي دهقان ، ارض زردشت ، الاوضاع الطبيعية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتاريخية ، رضائيه ، طهران ، ابن سينا ١٣٤٨ – ١٩٦٩ ص ٦ – ٥٧٢ (باللغة الفارسية) .

٢٧ – وثائق وزارة الخارجية البريطانية : Fo 371 / 1921: E13470 / 100 / 93, Fo 371 / 1921: E 6185 / 100 / 93,

كذلك : Arfa, Shahs... p. 136 Arfa, Kurds... p. 58.

٢٨ – Fo 371; 1920: E 15670 / 11 / 44, 1921: E 13470 / 100 / 93.

٢٩ – Arfa. Kurds... p.59.

٣٠ – Fo 371 / 1922: E 2402 / 96 / 65.

٣١ – Fo 371 / 1921: E 13470 / 100 / 93.

٣٢ – Fo 371 / 1922: E 8437 / 6 / 34:

A.J.Toynbee, Survey of International Apirs 1925, part 1 (The Islamic World Since the Peace Settlement, (Oxford University Press 1927) p. 539

Jwaideh, Nationalist Movement, p. 410.

٣٣ – Toynbee, Survey... pp. 538—9

٣٤ – جاء ذكر الحركات العسكرية لعامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ في المصادر الأتية :

Arfa, kurds... pp. 58—63. Arfa, Shahs... pp. 118—41, دهقان . ارض زررشت ، الصفحات ٩٤ – ٥٨٥ . كذلك في تقرير الملحق العسكري البريطاني بطهران : Fo 371 / 1922: E 3512242 / 1076 / 34.

C. J Edmonds, kurds, Turks and Arabs: Politics, Travel- and Research in North Eastern Iraq 1919 1925 (Oxford University press, 1957) pp. 305—7.

٣٦ – للمزيد من المعلومات عن السنوات الاخيرة في حياة (سمكو) راجع :

Arfa, Kurds... p. 63 Jwaideh, Nationalist Movement, pp.410—13: وحول مقتله ، انظر : A.M. Hamilton, Road Through Kurdistan Faber and Faber, London 1937R pp. 162—4, and. وكذلك : شريفي ، عشائر شكاك ، ص ٧١ ٦٤ .